

أخرس أعمى وأطرش

بقلم الياس بجاني

مسؤول لجنة الإعلام في المنسقية العامة للمؤسسات اللبنانية الكندية

مشكلة الكثير من مواطنينا وتحديداً في بلاد الانتشار أنهم قرروا الاقتداء بالمثل الصيني القائل "أنا أخرس، أعمى وأطرش" كآلية لعزل أنفسهم عن مأساة شعبهم المضطهد في كرامته ولقمة عيشه. فبدل أن يلتفتوا لأهلهم ويمدوا لهم يد العون لإخراجهم من شباك المهيمنين على مقدراتهم نراهم يتعامون بشكل مقزز عن كل ما يمت للشأن الوطني المحق بصلة بحجة أنهم لا يتعاطون السياسة، صابيين جام غضبهم على الأحزاب السيادية وقادتها، محملينهم بشكل اعتباطي مسؤولية حرب الآخرين على وطنهم. أما المقلق في نرجسية مواطنينا هؤلاء هو أمر إصابتهم بعمى البصيرة لجهة انتمائهم الوطني وهويتهم، إضافة إلى نكرانهم لتضحيات الآلاف من الشباب الذين قدموا أنفسهم قرابين على مذبح الوطن تحت راية الأحزاب السيادية دفاعاً عن الكرامة الوطنية. إن من يتعمى عن الحقيقية ليحجبها عن ذاته نتيجة لخوف، جهل أو خدمة لمصالح شخصية، ومن ثم يتبجح ويعاند مدعياً أنه على صواب هو مخلوق تخدر ضميره وتغربت عنه كرامته. إنه عدو نفسه وأهله وينطبق عليه قول الإمام علي: "الكذاب والميت سواء، لأن فضيلة الحي على الميت الثقة به، فإذا لم يوثق بكلامه فقد بطلت حياته". نسوق هذا الكلام لأننا وللأسف الشديد نرى بعضاً من أبناء جاليتنا يماشون طروديين ناشطين في الشأن الاغترابي، من بينهم أصحاب جيب، مهمتهم تشويه سمعة اللبنانيين باتهام الأشرف منهم بالإرهاب، تفتيق التهم الباطلة لهم، إهائهم بمماحكات جانبية واستنزاف قدراتهم. أما الهدف الأساسي لمخططات هؤلاء المأجورين فتدجين الاغتراب، قتل لبنانيتها والباسه عباءة مستوردة ليست له.

إن من تخدرت ضمائرهم لا فائدة البتة من محاكاة الوطنية في أعماقهم فهؤلاء يماشون الماشين، يركبون مع الراكبين ويتزلفون لمن بيده السلطة. إن غايتنا تنبيه المَعْرَر بهم الذين فقدوا إيمانهم بأنفسهم وبوطنهم.

في سياق آخر نتمنى على أهلنا في بلاد الانتشار عدم المشاركة في أي احتفال يقام في ذكوى الاستقلال ونحثهم أن يذهبوا إلى الكنائس والمساجد والخلوات ليصلوا من أجل استعادة الاستقلال المفقود واسترداد الكرامة الوطنية المهانة.

ترى ماذا بقي من الاستقلال غير الذكرى، فلبنان بكامله واقع تحت نير الاحتلال، فيما قراره الوطني مصادر، الجيوش الغريبة تدنس أرضه وتلثين شعبه يعيش تحت خط الفقر المدقع؟ ترى هل عاد المليون ونصف مليون مهجر ومشرّد في القارات الخمسة، أما أن حقوق انسلنا مصانة؟ وماذا عن مئات التقارير الموثقة من قبل العديد من المنظمات والجمعيات الدولية التي

تفضح التعديتات الفطبيعة على حقوق أهلنا من اعتقالات اعتباطية، تعديتات، اضطهاد، تنكيل، إبعاد، تلفيق تهم، محاكمات هرطقية، تهجير، إفقار وغيرها الكثير؟ هل يعقل أن نحتفل بذكري الاستقلال فيما حرية أهلنا مقيدة، صوتهم مخنوق ووسائل الإعلام مسيرة لخدمة المحتل وخططه الهادفة إلى إلغاء لبنان الكيان والهوية.

هل يحق لنا أن نحتفل بذكري الاستقلال ونضع رؤوسنا في الرمال كالنعامة ناكرين وجود مليون ونصف مليون عامل سوري يهيمنون على سوق العمالة في لبناننا، يرتكبون كافة المخالفات، يزاحمون أهلنا على لقمة عيشهم ويحرمونهم حتى من الهواء الذي يتنشقونه؟ كيف يمكن أن نغني ونرقص فيما ٢٠ ألف لبناني يهاجرون كل شهر بحثاً عن لقمة عيش كريمة بعد أن أصبحوا غرباء في وطنهم؟

كيف يمكن أن نتجاهل المئات من شبابنا المعتقلين اعتباطاً في السجون السورية دون محاكمات في ظروف غير إنسانية، فيما وزارة الدفاع في اليرزة، رمز كرامة الوطن قد تحولت إلى باستيل لقهرا الأحرار من شبابنا وقادتنا؟ ترى هل شعبنا هو الذي أختار الرؤساء الثلاثة ومجلس الوزراء والمجلس النيابي؟ وهل من المنطق أن نرقص ونغني وقد وصل دين دولتنا العظيمة إلى حدود ال ٣٠ بليون دولار؟ ترى بجيوب من حطت هذه المبالغ التي رهننت مستقبل أجيالنا وأوصلت وطننا إلى حافة الانهيار الاقتصادي؟

هل من العدل أن ندق الكؤوس ونرقص فيما مصانع وطننا تقفل، سهولنا تبور، حقولنا تبيس ومحاصيلنا لا تجد أسواقاً لتصريفها؟ هل يعلم الذين يُسوّقون للاحتفال بذكري الاستقلال أن أسواقنا مشرعة كما حدودنا لشذاذ الأفاق ولكافة المنتجات من خضار وفاكهة وزيت وأجبان ولحوم وباقي السلع الصناعية التي تهرب من سوريا وعبرها برضى متولي حكمنا؟ هل نسي هؤلاء أن متولو الحكم يحرمون المغتربين وأولادهم من حقهم في استرجاع جنسيتهم فيما في يوم واحد جنسوا نصف مليون غريب (سنة ١٩٩٢) فخلخلوا ديموغرافية الوطن وجعلوا أهلنا غرباء في وطنهم؟

هل غاب عنهم أن ستة آلاف عائلة من أهلهم لا يزالون في إسرائيل خوفاً على حياتهم، فيما الآلاف من سكان جنوبهم البطل يحاكمون بتهم باطلة ملفقة ويزجون في السجون؟ أم أنهم لا يدرون أن جيشهم البالغ تعداد أفراده ٨٠ ألفاً ممنوع عليه الذهاب إلى الجنوب وحراسة الحدود؟ هل نسوا أن في لبنانهم كونتونات لا سلطة للدولة عليها تُصدر الإرهاب للعالم؟ إن المشارك بعيد الاستقلال بغير الصلوات والجهاد لاستعادة السيادة والكرامة هو كمن يشارك في عرس زوجته، ومن له آذان فليسمع.